القرائن التي كان يصلي بها النبي ﷺ
وأوجه الاقـتران بينها

دكتور/ ناصر بن هزاع بن عواد المطرفي
أستاذ القرآن وعلومه المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:
يدور هذا البحث على دراسة أثر ابن مسعود في القرائن التي كان يصلي بها النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، فيجمع الروايات الواردة ، ويختار الصحيح منها ، ويبن السور وما هي أوجه الترابط بينها .
كلمات افتتاحية : القرائن – النظائر– أوجه .

Research Summary:
This research is about studying the impact of Ibn Masoud on the clues that the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, used to pray,He collects the stories received, And choose the right ones, He builds the fence and what are the interconnections between them.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وتابع علينا نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وسيدهم نبي الرحمة والهدى، وعلى آله وأصحابه أولوا الخير والتقى . أما بعد :

فقد كنت أياماً فيما مضى وقفت على أثر ابن مسعود المخرج في الصحيحين أنه قال : لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن.

وأحببت علم هذا والحديث ومعرفة فقهه للعمل به، غير أن سبل العلم كانت قاصرة لدي، وطرائق البحث كانت محصورةً لصغر سني وقلة بضاعتي، فسألت بعض من يكبرني سناً ويعلم من سنة النبي مالا أعلم، فما زادني فيه، ومع تعاقب الليل والنهار يذهل المرء عما يريد، وكان السؤال عندي قائماً والإجابة عنه ممتنعة، حتى منَّ الله علي بقراءة بعض كتب الآثار المسندة فتجلى عندي كثيرٌ مما امتنعت إجابته علي في ذلك الزمن، فعزمت على تحقيق الآثار وجمعها وبيان سبب اختصاص السور بالقراءة، فتم في هذا البحث والحمد لله .

وسميته القرائن التي كان يصلي بها النبي ﷺ وأوجه الاقتران بينها.

أهداف البحث :

١ –جمع أطراف الحديث وتحقيقها وتصفيتها .

٢ –التأليف بين فصول الحديث واستخلاص المسائل المتعلقة بالقراءة.

٣ – بيان سبب اختصاص السور وسبب اقترانها.

الدراسات السابقة

بعد البحث في الفهارس والاستعانة بمحركات البحث لم أقف على دراسة موافقة لهذا البحث.

حدود البحث :

يدور هذا البحث حول أثر ابن مسعود في القرائن التي كان يصلي بها النبي ﷺ .

منهج البحث :

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي وفق المنهج العلمي الآتي

١ – جمع روايات الحديث وطرقه

٢ – دراسات الروايات لتمييز الصحيح من الضعيف

٣- اعتبرت تصحيح وتضعيف أهل الصنعة فيه، وما وقع فيه من اختلاف حررته أو اخترت ممن اعتبر تحريره.

٤- أما المقارنة بين السور فاعتمدت فيها الاستنباط والتدليل مستأنساً بأقوال السلف.

٥- الترجمة للأعلام اقتصرت فيها على من لم تستفض شهرته .

٦- التزمت المنهج العلمي من كتابة الآيات وفق الرسم العثماني وعزو الايات، وتخريج الأحاديث المرفوعة، ومراعاة علامات الترقيم .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث :

المقدمة وتشمل :

أهداف البحث والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول : بيان روايات الحديث.

المبحث الثاني : مسائل في فقه الأثر .

المبحث الثالث : أوجه الاقتران بين السور.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج .

فهرس المراجع .

المبحث الأول : بيان روايات الحديث

هذا الحديث الوارد في قراءته ﷺ النظائر في الصلاة، قد خرجته عامة دواوين الإسلام ؛ على اختلاف في بعض ألفاظه وسياقها .

وسأذكر هنا أصول الروايات الواردة، وما وقع فيها من اختلاف حسب ما وقعت عليه مما تيسر لي من مراجع وأصول في هذا المبحث :

- أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي وائل[١] قال: جاء رجل إلى ابن مسعود ﷺ فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: «هذاً كهذ الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في كل ركعة»[٢]
- وفي رواية له عن أبي وائل، عن عبد الله ﷺ قال: غدونا على عبد الله، فقال رجل: قرأت المفصل البارحة، فقال: «هذاً كهذ الشعر ؛ إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ، ثماني عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم »[٣]

وأخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه عن أبي وائل، قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان[٤] إلى عبد الله، فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف؟ ألفا تجده أم ياء ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾[محمد:١٥] أو «من ماء غير ياسن»[٥]؟ قال: فقال عبد الله: وكلٌّ القرآن قد أحصيت غير هذا، قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: «هذاً كهذ الشعر، إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود، إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن سورتين في كل ركعة»، ثم قام عبد الله، فدخل علقمة في إثره، ثم خرج، فقال: قد أخبرني بها [٦].

- وفي رواية أخرى له عن أبي وائل، قال: غدونا على عبد الله بن مسعود يوما بعد ما صلينا الغداة، فسلمنا بالباب، فأذن لنا، قال: فمكثنا بالباب هنية، قال:

---

(١) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي الإمام الكبير، شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي الكوفي. مخضرم، أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم– وما رآه وحدّث عن: عمر، وعثمان، وعلي، وعمار، ومعاذ، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي موسى وقال عمرو بن مرة: من أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود؟ قال: أبو وائل توفي عام ٨٢هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٥)

(٤) لم أجد له ترجمة مُعرّفة به وأكثر ما وجدت هذا السطر عند ابن حبان في الثقات نهيك بن سِنَان البجلِيّ كُوفِي يروي عن ابْن مَسْعُود روى عَنهُ أَبُو وَائِل. وتبع ابن حبان عامة من ذكره بهذا السطر . الثقات لابن حبان (٥/ ٤٨٠)

(٥) هذه القراءة ذكرها صاحب المغني في القراءات وفي النسخة بياض عند نسبة القراءة (١٦٨٨/٤).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٥٦٣)

فخرجت الجارية، فقالت: ألا تدخلون، فدخلنا، فإذا هو جالس يسبح، فقال: ما منعكم أن تدخلوا وقد أُذن لكم؟ فقلنا: لا، إلا أنا ظننا أن بعض أهل البيت نائم، قال: ظننتم بآل ابن أم عبد[١] غفلة، قال: ثم أقبل يسبح حتى ظن أن الشمس قد طلعت، فقال: يا جارية انظري هل طلعت؟ قال: فنظرت فإذا هي لم تطلع، فأقبل يسبح حتى إذا ظن أن الشمس قد طلعت، قال: يا جارية انظري هل طلعت؟ فنظرت، فإذا هي قد طلعت، فقال: الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا – فقال مهدي: وأحسبه قال – ولم يهلكنا بذنوبنا، قال: فقال رجل من القوم: قرأت المفصل البارحة كله، قال: فقال عبد الله: «هذا كهذ الشعر، إنا لقد سمعنا القرائن، وإني لأحفظ القرائن التي كان يقرؤهن رسول الله ﷺ، ثمانية عشر من المفصل، وسورتين من آل حم»[٢]

- وأخرج الإمام أبو داوود في سننه عن علقمة[٣]، والأسود[٤]، قالا: أتى ابن مسعود رجل، فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال: أهذاً كهذ الشعر، ونثرا كنثر الدقل[٥]، «لكن النبي ﷺ كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة، الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت، ونون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة»، قال أبو داود: «هذا تأليف ابن مسعود –رحمه الله–»[٦]
- وأخرج ابن خزيمة في صحيحه عن الأعمش[٧]، عن شقيق قال: جاء نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال: كيف تجد هذا الحرف ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾[محمد:١٥] أو ياسن؟ فقال: " أكل القرآن أحصيت إلا هذا؟ قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: هذا كهذ الشعر إن أقواما يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، ولكنه إذا دخل في قلب فرسخ فيه نفع، وإن أخير الصلاة الركوع

(١) النسبة هنا لأم عبد الله بن مسعود وهي أم عبد بنت عبد ود بن سوي. وقد جاءت بعض الأحاديث التي ذكرت هذه النسبة فعل هذا مما حبب هذا الاسم لعبدالله كقوله صلى الله عليه وسلم–: (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد) ولأن أمه صحابية رضي الله عنه . سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٤٦٢)

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٦٤)

(٣) ستأتي ترجمته عند دراسة الحديث.

(٤) ستأتي ترجمته عند دراسة الحديث.

(٥) هو ردئ التمر ويابسه، وما ليس له اسم خاص فتراه لييسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورا. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٢٧).

(٦) رواه أبو داوود في سننه (٢/ ٥٦) وسيأتي الكلام على دراسته .

(٧) الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي .الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين تابعي جليل حافظ متقن الرواية قال سفيان بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض. سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦)

والسجود، وإني أعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن سورتين في ركعة، ثم أخذ بيد علقمة فدخل ثم خرج فعدهن علينا " قال الأعمش: وهي عشرون سورة على تأليف عبد الله أولهن الرحمن وآخرتهن الدخان: الرحمن، والنجم، والذاريات، والطور هذه النظائر، واقتربت والحاقة، والواقعة، ون والنازعات وسأل سائل، والمدثر، والمزمل، وويل للمطففين، وعبس ولا أقسم، وهل أتى، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والدخان

- ومن طريق آخر عن الأعمش: فذكروا الحديث بطوله، إلى قوله: فدخل علقمة، فسأله، ثم خرج إلينا، فقال: عشرون سورة من أول المفصل في تأليف عبد الله لم يزيدوا على هذا.(١)
- هذه أصل الروايات الواردة في هذا الحديث، وقد تركت كثيرا من الروايات الواردة فيه استغناءً بما سقته(٢)، أو إعراضا عن ضعفها، وبدأت بما في الصحيحين لتكون الأصل والجادة ثم زدت عليها مافي سنن أبي داوود وصحيح ابن خزيمة تكميلا للروايات .
- دراسة الأحاديث الواردة من حيث الصحة والضعف .

لاشك في صحة أصل هذا الحديث فقد روته عامة كتب الإسلام واتفق على جزئه الأول أئمة الحديث .

وما أخرجه الشيخان واتفقا على إخراجه أو انفرد به أحدهما فقد كفونا مؤونة دراسته، وما لم يخرجاه فهو محل تنازع بين العلماء وسأتعرض له هنا في الحديثين المخرجين عند أبي داوود وابن خزيمة .

الحديث الأول حديث أبي داوود .

قال أبو داوود : حدَّثنا عبّادُ بنُ موسى، حدَّثنا إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاقَ، عن علقمةَ والأسود، قالا...

قال محققه إسناده صحيح.(٣)

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٦٩)

(٢) وقد خُرج هذا الحديث بألفاظ متقاربة في مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٢١٤) و مسند ابن الجعد (ص: ٢٧) و مسند ابن أبي شيبة (١/ ١٦٨) ومسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٩٧) ومسند البزار (٥/ ١٢) والسنن الكبرى للنسائي (٢/ ٢٢) مستخرج أبي عوانة (١/ ٤٨٣) وصحيح ابن حبان (٥/ ١١٩) والمعجم الأوسط (٢/ ٢٧٨) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٤) المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم (٢/ ٤١٧) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ١٤).

(٣) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٢/ ٥٤٣)

قلت ورجاله ثقات : فأما عباد بن موسى فهو الختلي أبو محمد الأنباري سكن بغداد قال ابن حجر روى له البخاري ومسلم وأبو داوود والنسائي ووثقه جماعة من أئمة الحديث.(١)

وأما إسماعيل بن جعفر فقد قال عنه الذهبي: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الإمام، الحافظ، الثقة، أبو إسحاق الأنصاري، وثقه جماعة من العلماء وخرج له أصحاب الكتب الستة .(٢)

وأما إسرائيل فهو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني أبو يوسف الكوفي، فقد قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "كان شيخاً ثقة وجعل يتعجب من حفظه، وقال أبو داود صاحب السنن قلت لأحمد بن حنبل إسرائيل إذا انفرد بحديث يحتج به قال: "إسرائيل ثبت الحديث"(٣).

وأما أبو إسحاق فهو السَّبِيْعِيُّ عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ ذِي يُحْمِدَ.

قال عنه الذهبي : الحافظ، شيخ الكوفة، وعالمها، ومحدثها وكان–رحمه الله– من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين.

وهو: ثقة، حجة بلا نزاع، وقد كبر وتغير حفظه تغير السن، ولم يختلط.(٤)

وأما علقمة فهو : علقمة بن قيس بن عبد الله أبو شبل النخعي قال عنه الذهبي :

فقيه الكوفة، وعالمها، ومقرئها، الإمام، الحافظ، المجود، المجتهد الكبير لازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته وكان يشبه بابن مسعود في هديه ودله وسمته، وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون.(٥)

وأما الأسود فهو : الأسود بن يزيد بن قيس أبو عمرو النخعي قال عنه الذهبي : الإمام، القدوة، أبو عمرو النخعي، الكوفي، وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن، يضرب بعبادتهما المثل، ونقل الذهبي وابن حجر توثيقه عن جماعة من الأئمة .(٦)

فتبين من هذا صحة هذا الإسناد .

وقد أعلَّ بعض أهل العلم هذه الرواية التي فيها سرد السور بعلتين :

الأولى : أن أبا إسحاق يدلس وقد عنعن هنا .

---

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ١٠٥)

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٢٢٨) الكاشف للذهبي (١/ ٢٤٤)

(٣) تهذيب التهذيب (١/ ٢٦٢)

(٤) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ٣٩٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٠).

(٥) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٣).

(٦) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٠) تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٣).

الثانية : أن هذه الرواية جاءت عن طريق إسرائيل عن أبيه وقد أخذ عنه بأخرة[1] .

قلت : وهاتان العلتان مظنة وليستا طعناً في الرواية.

أما الأولى : فإن أبا إسحاق كوفي تلقى عن علقمة بن قيس،والأسود بن يزيد، وغيرهم من أصحاب ابن مسعود، وهم من أعلم الناس بهدي ابن مسعود ودله ومصحفه، وهذه الرواية غاية ما فيها الإخبار عن مصحف ابن مسعود الذي رتبه لنفسه، وجعل القرائن مرتبة فيه، فالضبط فيها والبعد عن التدليس أظهر، لا سيما والروايات التي في الصحيحين قد أخبرت عن السور أنها في مصحف ابن مسعود .

وأما العلة الأخرى : فهي كذلك مظنة لاسيما إذا استظهرنا أنَّ أبا إسحاق لم يختلط، وإنما حصل عنده شيء من النسيان بسبب تقدم السن، وهذا يضعف في هذه الرواية لكونها ذكرت على تأليف ابن مسعود ومصحفه كان مشهورا عند أهل الكوفة ونسيان هذا يضعف، وإسرائيل كان يضبط عن أبيه بالكتابة [2].

زد على ذلك أن رواية ابن خزيمة من طريق الأعمش تعضد هذه الرواية، مع الاختلاف اليسير بينهما في غير تحديد السور.

قال الحافظ ابن حجر :"سردها أبو إسحاق عن علقمة والأسود عن عبد الله ؛ فيما أخرجه أبو داود متصلا بالحديث، بعد قوله كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة :الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والذاريات والطور في ركعة، والواقعة ونون في ركعة، وسأل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، وإذا الشمس كورت والدخان في ركعة، هذا لفظ أبي داود .

والآخر مثله ؛ إلا أنه لم يقل في ركعة في شيء منها، وذكر السورة الرابعة قبل الثالثة، والعاشرة قبل التاسعة، ولم يخالفه في الاقتران .

وقد سردها أيضاً الطبراني لكن قدم وأخر في بعض وحذف بعضها وفيها ضعف وعرف بهذا أن قوله وسورتين من ال حم مشكل لأن الروايات لم تختلف أنه ليس في العشرين من الحواميم غير الدخان فيحمل على التغليب، أو فيه حذف كأنه قال وسورتين إحداهما من ال حم. وكذا قوله : في رواية الأخرى آخرهن حم الدخان وعم يتساءلون مشكل، لأن حم الدخان آخرهن في جميع الروايات، وأما عم فهي في رواية أبي خالد السابعة

(١) انظر : المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٤٦)

(٢) وانظر للاستفادة المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٤٧).

عشرة، وفي رواية أبي إسحاق الثامنة عشرة، فكأن فيه تجوزا لأن عم وقعت في الركعتين الأخيرتين في الجملة، ويتبين بهذا أن في قوله في حديث الباب عشرين سورة من المفصل تجوزا ؛ لأن الدخان ليست منه، ولذلك فصلها من المفصل في رواية واصل نعم يصح "[1] .

ثم إني بعد دراستي للحديث والوصول إلى الحكم بصحته وقفت على تراجع الشيخ الألباني –رحمه الله– عن تضعيف سرد السور بعد تصحيحه للحديث فحكم على الحديث بالصحة كاملاً فالحمدلله أولاً وآخراً.[2]

الحديث الثاني وهو ما أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

وهذه الرواية أصح وأقوى من رواية أبي داوود، وهي شاهدة لها، ولم أجد فيها ما يقدح بها، ويكفي فيها تصحيح إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة –رحمه الله–، وتصحيحه معتبر عند أهل النظر، قال الحافظ ابن الصلاح –رحمه الله– : (ثم إن الزيادة في الصحيح على ما في الكتابين: يتلقاها طالبها مما اشتمل عليه أحد المصنفات المعتمدة المشهورة لأئمة الحديث، كأبي داود السجستاني، وأبي عيسى الترمذي، وأبي عبد الرحمن النسائي، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي الحسن الدارقطني، وغيرهم. منصوصا على صحته فيها.

ولا يكفي في ذلك مجرد كونه موجودا في كتاب أبي داود، وكتاب الترمذي، وكتاب النسائي، وسائر من جمع في كتابه بين الصحيح وغيره.

ويكفي مجرد كونه موجودا في كتب من اشترط منهم الصحيح فيما جمعه، ككتاب ابن خزيمة). [3]

قلت : وكلا الروايتين قد ذكرتا نفس السور على اختلاف في ترتيب الركعات إن اعتبرنا أن الراوي قصد عدها مرتبة على الركعات، وهذا الاختلاف لا يطعن في الحديث، فإن الحديثين قد اتفقا في أغلب الأجزاء حتى في تعيين السور التي تقرأ في الركعة الواحدة غير أن الخلاف وقع في بعض الركعات تقديماً وتأخيراً، وفي مثل هذا الشأن قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (والمقصود " أن الحديث الطويل إذا روي مثلا من وجهين مختلفين من غير مواطأة امتنع عليه أن يكون غلطا كما امتنع أن يكون كذبا؛ فإن الغلط لا يكون في قصة طويلة متنوعة وإنما يكون في بعضها فإذا روى هذا قصة طويلة

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٥٩)

(٢)صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم – الألباني (ص: ١٠٥) أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ٤٠٤)

. تراجعات الألباني (ص: ١٦٧) صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم المكتبة الشاملة آليا)

(٣)مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث – ت عتر (ص: ٢١)

متنوعة ورواها الآخر مثلما رواها الأول من غير مواطأة امتنع الغلط في جميعها كما امتنع الكذب في جميعها من غير مواطأة. ولهذا إنما يقع في مثل ذلك غلط في بعض ما جرى في القصة مثل حديث اشتراء النبي ﷺ البعير من جابر؛ فإن من تأمل طرقه علم قطعا أن الحديث صحيح وإن كانوا قد اختلفوا في مقدار الثمن)[1].

وهذا الجدول يوضح لك أن الروايتين عاضدتان لبعضهما وعليه فلا فرق بينهما إلا في تحديد الركعات وليس هذا محل بحثي وإن كنت أقدم رواية ابن خزيمة

رواية أبي داوود.	رواية ابن خزيمة.
١-الرحمن والنجم في ركعة،	١- الرحمن، والنجم،
٢-واقتربت والحاقة في ركعة،	٢- والذاريات، والطور هذه النظائر
٣-والطور والذاريات في ركعة،	٣- واقتربت والحاقة،
٤-وإذا وقعت، ونون في ركعة،	٤- والواقعة، ون
٥-وسأل سائل والنازعات في ركعة،	٥- والنازعات وسأل سائل،
٦-وويل للمطففين وعبس في ركعة	٦- والمدثر، والمزمل،
٧-والمدثر والمزمل في ركعة،	٧- وويل للمطففين، وعبس
٨-وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة،	٨- ولا أقسم، وهل أتى،
٩-وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة،	٩- والمرسلات، وعم يتساءلون،
١٠- والدخان وإذا الشمس كورت	١٠ - وإذا الشمس كورت، والدخان

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٠).

المبحث الثاني : مسائل في فقه الأثر .

وحيث جمعنا الروايات الواردة في الحديث، وبينا السور التي كان النبي ﷺ يقرأ بها في قيام الليل ؛ فثمت مسائل متعلقة بالحديث قبل الكلام عن أوجه الاقتران بين السور وهي:

المسألة الأولى : هذا الحديث سببه تأديبُ ابن مسعودٍ ﷺ أصحابه وتعليمه مما علمه الله من هدي النبي ﷺ وسمته .

وبيان ذلك أن الذي ثوَّر علم ابن مسعود هو قول نهيك بن سنان وقد تعددت الروايات في مساقه كما تقدم لك في أول المبحث السابق .

ويظهر لي أن نهيك بن سنان لم يكن من أصحاب عبدالله بن مسعود الذين لهم خصيصة كعلقمة والأسود وأبو وائل وإنما غدا عليه في ذلك الصباح مع أصحابه ثم بادر بالسؤال على هيئةٍ كرهها ابن مسعود ﷺ، ولعله ﷺ رأى في السائل نَفَساً على غير هدي النبوة، فأراد تعليمه بطريقة الزجر، ولذا لا تجد لنهيك بن سنان الذي صرح في بعض الروايات تعيينه ترجمة وافية تجلي لك حاله وأكثر ما وجدت عنه لا يتجاوزا سطرا كما تقدم في ترجمته .

وهل استراب عبدالله ﷺ من أمره؟ فظنه على طريقة الخوارج الذين زجرهم في القصة المشهورة حين جاءه أبو موسى الأشعري ﷺ فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر – والحمد لله – إلا خيرا قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: «أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم»، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: «ما هذا الذي أراكم تصنعون؟» قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: «فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة». قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: «وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن» قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم "، وايم

الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. (١)

قلت فهذا الظن يقرب، ولذا لما قال نهيك بن سنان لعبدالله بن مسعود : كيف تقرأ هذا الحرف؟ ألفا تجده أم ياء ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾[محمد:١٥]، أو «من ماء غير ياسن»؟ قال: فقال عبد الله: وكلٌّ القرآن قد أحصيت غير هذا !.

فلو كان من المقربين لعبدالله بن مسعود ﷺ ؛ لعلم حاله وتقدمه في العلم من تأخره، ولذا بادر نهيك بن سنان ببيان منزلته فقال : إني لأقرأ المفصل في ركعة.

فزاده هنا عبدالله توبيخاً بقوله "هذاً كهذ الشعر، ونثراً كنثر الدقل" .

ثم نبهه ابن مسعود وحذره ومن حضر أن لا يشابهوا الخوارج ولا يماثلوهم في هيئتهم، فإن الخوارج من سيماهم كثرة قراءة القرآن من غير تفقه، فقال له :إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

ثم أعلمه أن الصلاة لها هيئة عظيمة جليلة ليجني العبد ثمرها وينعم بها فقال : إن أفضل الصلاة الركوع والسجود.

قال القاضي عياض(٢) : (وَإِنْكَارُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَى الرَّجُلِ لِيَحُضَّهُ عَلَى التَّأَمُّلِ لَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قِرَاءَةُ الْمُفَصَّلِ فِي رَكْعَةٍ).(٣)

وقال صاحب الإفصاح (٤): (في هذا الحديث من الفقه أن الإنسان يتعين عليه أن يتقن الأصول قبل طلب الفروع، ألا ترى قول ابن مسعود: أوكل القرآن قد أحصيت غير هذا؟ إذ لا يعرف أحد يقرأ ياسين، ويدلك على أن ابن مسعود لم يرض فقه المسائل من أجل أنه لما سأله عن علمه في أصول القراءة لم يجبه عنه بل عدل إلى غيره، وقال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، وليس هذا بجواب لابن مسعود، فإن جوابه كان أن يقول: إني عرفت ذلك كله أو لم أعرفه فعدل إلى كلام آخر فوجد ابن مسعود فيه أيضًا ما يقتضي نهيًا آخر فقال له: هذا كهذ الشعر، وهذا هو جواب هذا الكلام الأخير ثم أتبعه بقوله: "إن أقوامًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم" تحذيرًا له أن يكون منهم، ثم قال بعد ذلك: إذا وقع في القلب فرسخ في القلب أي ثبت فيه)(٥).

---

(١) رواها الدارمي في سننه (١/ ٢٨٦)

(٢)القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي العلامة، الحافظ استبحر من العلوم، وجمع، وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مائة. سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢).

(٣) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٨)

(٤) الوزير بن هبيرة.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٦١)

ثم أعلمه أن هدي النبي أكمل وأحسن فقال له : لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في كل ركعة.

ثم تراه ﷺ بعد هذا التشويق الذي ذكره، خرج من المجلس ولم يذكر هدي النبي ﷺ ؛ وهذا فيه تأنيب للسائل، ولم يعلمهم ماهي القرائن حتى دخل عليه علقمة وكان من أخص الناس بعبدالله [1] رضي الله عنه فأخبره عبدالله بالسور .

المسألة الثانية : المفصل قد يطلق على القرآن كله ويطلق على الحزب الأخير منه .

وقد مال البغوي أن فعل نهيك هو الأول ولذا استنكر ابن مسعود ﷺ هذا قال البغوي –رحمه الله– : (قول الرجل: قرأت المفصل الليلة إنما سمي قصار السور مفصلا لكثرة الفصول التي يقع بينها من آية التسمية ".

وقيل: أراد بالمفصل القرآن كله، وقد أخبر الله – سبحانه وتعالى– في غير آية أنه فصله، فقال –سبحانه وتعالى–: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[هود:١]يدل عليه، أنه قال: «هذاً كهذ الشعر» وقد تتأتى قراءة المفصل على الترتيل، فإن النبي ﷺ كان يقرأ في بعض الليالي ما يقارب هذا ويزيد، وإنما يكون الهذ في حق من يختم القرآن في ليلة)[2].

المسألة الثالثة : هذه النظائر كان يقرأ بها النبي ﷺ في قيام الليل .

قال ابن رجب : والظاهر أن حديث ابن مسعود وعائشة[3] إنما هو في صلاة الليل.

ويظهر من حديث ابن مسعود ﷺ أن لها خصيصةً زائدة على ما سواها من عامة صلاة النبي ﷺ، ولا يبعد مثل هذا الفضل أن يعرفه عبدالله بن مسعود دون بقية أصحاب النبي ﷺ ولذا اختصه النبي ﷺ بأمور فيها من الفضل والشرف ما الله به عليم فمنها قوله ﷺ : قال لي رسول الله ﷺ: «إذنك علي أن يرفع الحجاب، وأن تستمع سوادي، حتى أنهاك»[4].

ومنها : ما ذكره أبو موسى الأشعري ﷺ قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فكنا حينا، «وما نرى ابن مسعود، وأمه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ، من كثرة دخولهم ولزومهم له»[5].

---

(١) روى البخاري في صحيحه عن إبراهيم النخعي قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا، قال: فأيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾[الليل:١]؟ قال علقمة: والذكر والأنثى، قال: «أشهد أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا»، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾[الليل:٣]والله لا أتابعهم .صحيح البخاري (٦/ ١٧٠)

(٢) شرح السنة للبغوي (٤/ ٢٤)

(٣) يريد ما أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن عبد الله ابن شقيق قال: سألت عائشة: هل كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – يُصلِّي الضحى؟ فقالت: لا، إلا أن يجيء من مَغِيبه، قلت: هل كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – يقرنُ بين السُورِ؟ قالت: من المُفصّل. سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٢/ ٤٦٤)

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٨)

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٤/ ١٩١١).

فهذا وأمثاله مما ذكر عن فضل عبدالله بن مسعود يبين لك تقدمه بين أصحاب رسول الله واختصاصه ببعض العلم عنهم ومنها هذا فإنه لم يروا إلا عن عبدالله بن مسعود، ومن ثمَّ فيقال هل كان النبي ﷺ يداوم على القرائن هذه ؟

أشار ابن حجر –رحمه الله– إلى هذا الإيراد فقال –رحمه الله– : (لكن ليس في حديث بن مسعود ما يدل على المواظبة بل فيه أنه كان يقرن بين هذه السور المعينات إذا قرأ من المفصل).[١]

المسألة الرابعة : ما المراد بالنظائر أو القرائن .

أما القرائن فهي من الاقتران قرن شيء بشيء.

قال ابن فارس : في مادة قرن القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة.

فالأول: قارنت بين الشيئين. والقران: الحبل يقرن به شيئان.

والأصل الآخر: القرن للشاة وغيرها، وهو ناتئ قوي.[٢]

قلت والذي يعنينا هنا الأول وهو جمع شيء لآخر.

وجاء في بعض الروايات الأخرى لفظ النظائر

قال ابن فارس في مادة الكلمة : (النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه ...إلى أن قال وهذا نظير هذا، من هذا القياس ؛ أي إنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء. وبه نظرة، أي شحوب، كأنه شيء نظر إليه فشحب لونه)[٣].

فالنظير على هذا ما يماثل الآخر في أصل صفاته.

وقد تكلم العلماء في سبب قول ابن مسعود القرائن أو النظائر ما هو وجه ارتباطها

قَالَ المحب الطبري[٤] في "أحكامه": وكنت أتخيل أن النظير بين هذِه السور؛ لتساويهما في عدد الآي حتَّى اعتبرتها فلم أجد شيئًا منها يساوي شيئًا.[٥]

وقال صاحب الإفصاح : "فأما النظائر فليس في هذا الحديث ما يدل أنها نظائر في القصص أو في عدد الآي أو الوعد أو الوعيد أو غير ذلك، وإن كان يعني النظائر في القصص وهو أن يخرج من قصة إلى نظيرها نحو قوله في آخر سورة الأحقاف: ﴿فَهَلۡ

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٦٠)

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٧٧).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٤)

(٤) محب الدين الطبري شيخ الشافعية واسمه أحمد بن عبدالله الطبري المكي الشافعي له مصنفات كثيرة منها الأحكام في مجلدات كثيرة توفي بمكة سنة ٦٩٤ه.البداية والنهاية (١٣/٤٠٢)

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/ ١١٣)

يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحقاف:٣٥] ثم أتبعها بوصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ ﴾[محمد:١]

وكذلك قوله في آخر الذاريات: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الذاريات:٦٠]

ثم ذكر ذلك اليوم بقوله: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ ﴾[الطور:١]الآيات"[1].

قلت : وهذه كلها محتملات عامة مجملة، أما التوافق في عدد الآيات فليس بشيء إلا في الذهن ؛ فإن السور التي كان يقرأها النبي ويقرن بينها لم تتوافق في عدد.

والذي يظهر لي بعد دراستي للسور وتأملها : أن اختصاص هذه السور كان لما في اقترانها من معاني عميقة ؛ يتسع بها المعنى، ويزداد أثرها على القلب ؛ إذا تواطأ مع اللسان.

فلذا قرن بينها النبي ﷺ في الصلاة، وسيتجلى هذا في المبحث القادم .

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٦٢-٦٣) باختصار غير مخل.

المبحث الثالث : أوجه الاقتران بين السور.

بعد أن أسلفت أن هذا الحديث الوارد عن عبدالله بن مسعود له مزيد خصيصة في اقتران هذه السور مع بعضها، فهذه محاولة واجتهاد في بين أسرار ترابطها مع بعضها ؛ والله أسأله إمدادي بالتوفيق والإعانة والفتح والإبانة .

وقد تقدم لك أيها القارئ الكريم أنَّ الروايتين مخرجتان في سنن أبي داوود وصحيح ابن خزيمة لا فرق بينهم، وأن الخلاف بينهما إنما كان في موضع الركعة ؛ على القول أنهما مقصودتان في الرواية، وهذا ليس مؤثرا في بحثنا هذا .

وسأسير في هذا على سرد الأعمش لجلالته في الرواية وهي رواية ابن خزيمة :

١ – سورة الرحمن والنجم وهذه أولى القرائن في الحديث:

مقدمة عن السورتين :

سورة الرحمن وهي مكية في قول جمهور العلماء وهي ست وسبعون آية[١] عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: " لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[سورة الرحمن:١٣]. قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد "[٢]

أما سورة النجم فالصحيح أنها مكية وآياتها إحدى وستون آية [٣].

أوجه وأثر اقتران سورة الرحمن بسورة النجم.

سورة النجم جاءت معززة لنبوة النبي ﷺ، ذاكرة طرفاً من حادثة المعراج، مبينةً شيئاً من عظمة الله وكبريائه، وانفراده بالملك حتى مع الخلق المكرمون عنده، وهم الملائكة فلا يشفعون إلا بإذنه ورضاه، ولا يبادرون في ذلك إلا بعد إذنه، وفي هذا كمال الملك له سبحانه، ثم مع عزته وعظمته ذكرت مبدأ خلق الإنسان وضعفه، ومنة الله عليه بمغفرته الذنوب، وستر العيوب، ونوهت بأهل الفضل الوفاء كإبراهيم وموسى، ثم بينت دقيق علم الله وإحصاءهُ لعمل الإنسان ليشمل المسلم والكافر، ثم مآل المكذبين من القرون الأولى، ثم التنويه بشأن القرآن وعظمته وختمت بالسجود ليكمل ذلٌ المؤمن لربه واخباته لخالقه.

وسورة الرحمن جاء فيها تعداد نعم الله على خلقه بتسخير الكون لهم، وبيان شيء من عظمة الله في ذلك، وهذا ظاهر جلي في تكرار قوله تعالى ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾،

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٥١).

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٥٢) وحسنه الألباني .

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٨١).

وفيها إفراد الله بالتدبير والتسيير للكون وامتناع المنازعة له في خلقه، فحقرت شأن الجن وأنهم خلق ضعيف، ثم فصلت وشوقت لجنات النعيم، التي هي جزاء من أقبل على الله سبحانه، وآمن برسوله، وعمل وفق هديه .

فجاء اقترانهم في ركعة واحدة على أكمل حال للمؤمن ؛ يجمع فيه بين التعظيم والإجلال، والنظر في جليل صفاته وعظيم خلقه، مع التشويق لجزائه والمحبة له والوجل منه، مما قد يقترفه من ذنوبه والإقبال عليه لعلمه بأن ربه غفار الذنوب .

فهذه المعاني المكتسبة في الجمع بين السورتين في موقف واحدٍ جليلة عظيمة .

وفوق كل ذي علم عليم .

٢- سورة الذاريات والطور:

وهاتان السورتان جاءتا على ترتيب المصحف العثماني وأوجه الاقتران بينهما ظاهر

مقدمة عن السورتين:

قال القرطبي :(سورة والذاريات مكية في قول الجميع، وهي ستون آية). [١]

وقال ابن عاشور : (تسمى هذه السورة «والذاريات» بإثبات الواو تسمية لها بحكاية الكلمتين الواقعتين في أولها وبهذا عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه» وابن عطية في «تفسيره» والقرطبي. وتسمى أيضا «سورة الذاريات» بدون الواو اقتصارا على الكلمة التي لم تقع في غيرها من سور القرآن وكذلك عنونها الترمذي في «جامعه» وجمهور المفسرين وكذلك هي في المصاحف التي وقفنا عليها من مشرقية ومغربية قديمة) [٢].

وكذلك الحال في سورة الطور فإنها مكية كلها في قول الجميع، وهي تسع وأربعون آية[٣]

أوجه وأثر اقتران سورة الذاريات بالطور .

هاتان السورتان كما هو معلوم من سور القسم، والقسم إنما يؤتى به للتعظيم والإثبات فلا يستخدم في عامة الكلام[٤] .

وهاتان السورتان جاء القسم فيهما بأمور عظيمة جليلة من الحوادث الكونية وقسم بالوحي لإثبات البعث وتقرير، وهو أعظم ما جاءت المفاصلة والتكذيب فيه للرسل .

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩)

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٥)

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٥٨)

(٤) انظر في هذا كلام العلامة المحقق ابن القيم التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢) وما بعده .

وجاء اقترانهما بقراءته ﷺ على أكمل وجه لاستيفاء تقريره، وتبيين برهانه، وتسلية صاحب الإيمان بذكر عاقبة الله للمكذبين، وكبهم في الجحيم .

ففي سورة الذاريات ترى القسم جاء بالملائكة المكرمين[١] في قوله: ﴿**فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً**﴾ [سورة الذاريات:٤]. وهم خلق كريم خلقهم الله لطاعته فلايعصونه ما أمرهم، ويحبهم أهل الإيمان والمقسم عليه إثبات البعث[٢]، ثم عدد شيئاً من نعيمه لأهل كرامته وذكر شيئاً من أفعال ربوبيته، ثم أفاض بذكر مننه على عباده السابقين من أهل طاعته فذكر قصة إبراهيم حين استضاف الملائكة وهو في غربة من الدين فبشروه بالغلام العليم على كبر سنه وامتناعه في نظر البشر لكون امرأته عجوز عقيم فكان في البشارة تنبيه على عظيم قدرته سبحانه وأن الأقدار من عنده .

ثم جاء السياق لبيان عدله مع من عصاه وخاصم أنبيائه وتنكبوا للصراط فذكر إهلاك قوم لوط، وقوم موسى وقوم هود وهو صالح وقوم نوح ؛ وفي هذا تسلية للمؤمن وتنشيطاً لهمته وعزمه أن الباطل وأن ارتفع فحتماً حتماً سيقع .

وانظر لقوله جل وعلا : ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾ [سورة الذاريات:٥٠].

ثم ذكر فيها سنة المكذبين للرسل، ومتابعتهم لبعضهم : ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [سورة الذاريات:٥٢].وختمها بالتهديد والوعيد لأهل التكذيب، ثم تثنى هذه السورة بسورة الطور مبتدأةً بالقسم بالطور وهو الجبل[٣] وفيه تعظيم الله جل في علاه بعد ما سلف من مظاهر جبروته وإيقاع العقوبة على من كذب رسله تُبدأ هذه السورة بهذا المخلوق العظيم الذي جعله الله أوتاداً للأرض حتى لا تميد[٤]؛ فيقع في القلب تعظيمٌ وإكبارٌ لله سبحانه، ثم القسم بالكتاب وإجلاله، والقسم ببعض خلقه العظيم ليكون سبيلاً لتعظيم الخالق الذي أبدعها،ويأتي جواب القسم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** ﴾[سورة الطور:٧-٨].

ففيه أن البعث كائن، وأن المكذبين سيذوقوا سوء أعمالهم .

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٠).

(٤) تفسير البغوي – طيبة (٨/ ٣١٢)

فانظر كيف أن السورتين ابتدأتا بالقسم وأقسم على البعث بعد الموت وتنوعتا في الكلام عنه ففي الذاريات كان الخطاب أخف من سورة الطور التي جاء فيها الجواب بنهر وزجر للمكذبين .

وتأمل أن في سورة الذاريات ذكرٌ للأمم السالفة وفي الطور ذكر لمن عاندوا النبي ﷺ وكذبوه ﴿ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [سورة البقرة:١١٨] واختلفت ألفاظهم وحججهم .

ولاحظ أن سورة الذاريات في أولها تأنيس للمؤمنين ولينٌ في الخطاب، وفي سورة الطور كان النقض لحجج كفار قريش شاهدا وقائماً، حتى ينبني الإيمان على القوة واليقين التي لا تزحزحها قوة ولا يكترث بغير ما يعتقد ؛ ولذا قال جبير بن من مطعم ﷺ، –وهو على الشرك إذ ذاك– قال: " سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [سورة الطور:٣٥–٣٧].قال: كاد قلبي أن يطير.(١)

فكان في قراءتهما :تثبيت للإيمان، وتأنيس بقرب الله من أوليائه وأهل طاعته، وتوكيدٌ لعظمة الله وتبديله الأمور، ويقين بالبعث بعد الموت، ووقوفٌ على عدل الله مع من أشرك وكفر به، وتهوين لأمر الدنيا، وتصبيرٌ على طاعة الله بقرب الله من أوليائه عناية وحفظاً.

٣– سورة القمر والحاقة .

سورة القمر مكية كلها في قول الجمهور.

قال الطاهر بن عاشور : كان نزولها في حدود سنة خمس قبل الهجرة ففي «الصحيح» «أن عائشة قالت:أنزل على محمد بمكة وإني لجارية ألعب : ﴿ **بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾[سورة القمر:٤٦]. (٢)

وكانت عقد عليها في شوال قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في أواخر سنة أربع قبل الهجرة بمكة، وعائشة يومئذ بنت ست سنين، وذكر بعض المفسرين أن انشقاق القمر كان سنة خمس قبل الهجرة.(٣)

وسورة الحاقة قريبة النزول منها ووجه تسميتها «سورة الحاقة» وقوع هذه الكلمة في أولها ولم تقع في غيرها من سور القرآن.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٤)

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٦٦)

وهي مكية بالاتفاق وذكر ابن عاشور: أنها نزلت في السنة الخامسة قبل الهجرة واتفق العادون من أهل الأمصار على عد آيها إحدى وخمسين آية "[1]

أوجه وأثر اقتران سورة القمر والحاقة .

هاتان السورتان كما تقدم مكيتان نزلتا في أواسط العهد المكي من دعوة النبي ﷺ، والشبه بينهما ظاهر في مقاصد السور المكية .

وكلاهما ابتدأتا بالحديث عن القيامة وأحوالها، وذكرتا طوائف ممن كذَّب رسل الله فحق عليهم غضب الله .

غير أن في اقترانهما وقراءتهما في ركعة واحدة اتساعاً في المعنى وزيادة في الأوصاف.

فسورة القمر تراها استهلت الحديث عن قرب الساعة وحادثة انشقاق القمر، قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– : (يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ [سورة القمر:٢][2].

ثم بعد ذكره هذه الآية جاء الحديث منصباً على تقرير اليوم لآخر وحال الناس فيه، وبيان خسارة الكفار وأن ذلك اليوم عليهم عسير، والحديث فيه عن كفار قريش واقترن الحديث بذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم ؛ فكان فيه أعظم تثبيت وتسكينٍ لنفس المؤمن.

ثم ختمت السورة بتهديد صناديد كفار قريش بالويل والثبور في الدنيا قبل الآخرة، وذلك ما وقع عليهم يوم بدر فعن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن النبي ﷺ قال: وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا» فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ [سورة القمر:٤٥–٤٦].[3]

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١١١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦٥)

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٤)

ثم جاء ختام السورة بإحصاء الله التام لأعمال العباد وكان ختامها بما يبرد قلب المؤمن ويؤنسه : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)** ﴾ [سورة القمر:٥٤-٥٥] بلا إسهاب بذكر تفاصيلها .

وجاءت سورة الحاقة مؤكدة لما اشتملت عليه سورة القمر من فبُدِأَت بكلمة الحاقة وهي من أسماء الساعة (الْحَاقَّةُ) التي تحقّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال[1].

فهذا ترابط عجيب بين هاتين المقترنتين .

وجاء الحديث فيها مختصرا عن ثمود وفُصِّل قليلاً في قوم هود وفي هذا مشابهة للطغيان والاستكبار مع كفار قريش الذين رأوا انشقاق القمر فلم يرفعوا بها رأساً، ولأن عاداً قالوا ﴿ **مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ [سورة فصلت:١٥] فجاء إهلاكهم بقوة العظيم الجبار التي جعلتهم من أحقر من تكبر، وفي هذا تقوية لعزم المؤمن إذ الله وليه .

وذكر جل سبحانه في الحاقة إهلاكه لفرعون والمؤتفكات، وإكرامه لنوحٍ ومن معه وحملهم في السفينة .

ثم جاء ذكر شيء عظمة الله وعزته ؛ فيعظم المعنى مع ما ذكره من دقيق إحصائه أعمال العباد، فذكر حملة عرشه .

ثم ذكر مآل المتقين وتفصيل معيشتهم الهنية في الدار الآخرة ؛ فيتسع المعنى مع ما ذكره آخر القمر.

وكذلك فصَّل الحديث عن اليوم العسير للكفار، وسوء عيشتهم حتى يقول: ﴿ **يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)** ﴾ [سورة الحاقة:٢٧-٢٨].

ثم ينتهي الحديث بالقسم العظيم ليشد من أزر المؤمن ويقوي يقينه بكتاب الله ورسوله، (فكأنه سبحانه يقول إن القرآن حق كما أن ما شاهدوه من الخلق ومالا يشاهدونه حق موجود بل لو فكرتم فيما تبصرون وما لا تبصرون لدلكم ذلك على أن القرآن حق ويكفي الإنسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره بعينه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من أحواله ظاهراً وباطناً ففي ذلك أبين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما أخبر به رسوله وما لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه)[2].

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٦٦)

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٧٦).

ثم يختمها بما يقوي إيمانه بهذا القرآن الذي هو سبيل النجاة وطريق الرفعة والعلو للمؤمن فيقول الله جل وعلا :﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ(٤٤)لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** ﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٥].ثم يختمها بالتسبيح لله المستحق لكمال التنزيه والتعظيم .

فأنت ترى هذا الترابط العجيب بين هاتين السورتين، يزيد المؤمن إيماناً ويقيناً .

وانظر لقراءته هاتين السورتين في صلاة الليل أي انسجام ومواطاءة تحصل في القلب .

٤- سورة الواقعة والقلم:

سورة الواقعة وهي سبع وتسعون آية مكية في قول جماعة من التابعين.

وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [سورة الواقعة:٨٢].(١)

وكذلك الحال في سورة القلم فإنها مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أولها إلى قوله تعالى: ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ [سورة القلم:١٦] مكي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ **أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة القلم:٣٣] مدني. وما بقي مكي.(٢)

أوجه وأثر اقتران سورة الواقعة بالقلم.

توافقتا هاتان السورتان باختلاف المفسرين في مكية آياتهما، وهذا مشعرٌ بالترابط بينهما وسورة الواقعة افتُتحت بذكر القيامة وبعض مشاهدها .

قال التابعي الجليل مسروق : (من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة)(٣).

فهذا تلخيص كافٍ من إمام من أئمة التابعين .

وأما سورة القلم فجاء فيها تعداد نعم الله على نبيه، وتثبيته على الإيمان، وضحالة وسخف شانئيه، وأن شأنهم كشأن أصحاب الجنة الذين امتن الله عليهم بها فأفسدوها بحماقتهم وسوء تدبيرهم .

ثم عقَّب الله جل وعلا قصة أصحاب الجنة ببطلان مساواة المجرمين وإن كانوا أهل شرف وعلوٍ في الأرض بأهل الإيمان الذين هداهم فأبطلها أيما إبطال، فكان في هذا هدماً لمعايير جائرة .

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٤).
(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٣).
(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٤).

ومن لطيف الاقتران بين السورتين أن سورة الواقعة شوقت إلى الجنة وذكرت أصناف أهلها، وسورة القلم ذكرت نصوع هذا الدين وصفاءه وأن منتهجه ذووا الألباب والعقول.

وفي الواقعة ذكرت تفصيلاً لأصحاب الشمال في دركات النار، وجاءت سورة القلم مبينة سخافة عقل المشرك ورداءة طبعه وتأمل هذا في قوله-عز وجل- : ﴿ **وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ** ﴾ إلى قوله ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾[سورة القلم:١٥].

٥- سورة المعارج والنازعات .

سورة المعارج وهي مكية باتفاق. وهي أربع وأربعون آية.(١)

سورة النازعات مكية بإجماع. وهي خمس أو ست وأربعون آية.(٢)

أوجه وأثر اقتران سورة المعارج بالنازعات.

السورتان كما ترى متقاربتان في عدد الآيات، متفقتان في موضع النزول، وهذا يعطي توافقاً أكثر، وتجد هذا التوافق ظاهراً في موضوع السورتين فالمعارج ابتدأت بالحديث عن سؤال المشرك الجاحد لليوم الآخر فجاء الجواب دامغاً له بأنه واقع وأن الكافر فيه خاسر، والنازعات جاءت بالقسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكافرين وهو أسلوب تأكيدٍ وفيه توبيخٌ للكافر وتقريعٌ له .

وفي سورة المعارج جاء التفصيل لبعض أهوال النار، وفي النازعات جاء الحديث عن مقدمات القيامة .

وفي المعارج ذكر الله طبع الإنسان الرديء إلا من تحلى بالإيمان وأقامه الدين .

أما النازعات فكان فيها حديثاً عن إمام الضلالة فرعون وكيف وصل به التكبر أن ادعى الربوبية .

وختمت السورتان بذكر البعث وشأنه وتقريره كما هو شأن السور المكية غير أن سورة المعارج جاء فيها مآل الكافر وخسارته، وأما سورة النازعات فكان الذكر فيها للفريقين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

واتفقت السورتان على السؤال عن الساعة وتقريب يوم البعث وقربه ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾ ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً**﴾ [سورة المعارج].

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** ﴾ ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ [سورة النازعات].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٠).

فهذا توافق وتنوع في تقرير يوم البعث.

٦- سورة والمدثر، والمزمل.

سورة المدثر مكية في قول عامة المفسرين وهي ست وخمسون آية[١]، وسورة المزمل مكية كلها في قول جماعة من التابعين وهي سبع وعشرون آية.[٢]

أوجه وأثر اقتران سورة المدثر بالمزمل.

وهاتان السورتان جاءتا متعاقبتان في المصحف العثماني، ولكن بتقديم المزمل على المدثر .

وكلا السورتين جاء ابتداؤهما بالنداء للنبي ﷺ بلباسه، وفي هذا الملاطفة والمؤانسة وتسكين رَوعه[٣] ؛ ولذا كان نزول المدثر متقدماً على المزمل، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– أنه سُئل أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: " جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء – يعني جبريل ﷺ – فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)** ﴾ [سورة المدثر:١-٤].[٤]

وفي تشابه ابتدائهما ؛ تقارب واقتران بين مقصدهما وأثر عميق على قارئهما :

فأنت ترى أنَّ سورة المدثر جاءت لإعلان الرسالة والدعوة بها .

وجاءت سورة المزمل لتقوية الإيمان وتحليته بما يجمل من خصال، وتكميله بأنواع الطاعات التي تقوي إيمانه، وتزيد ارتباطه بربه ؛ فأوصته بقيام الليل، وتلاوة القرآن، وترتيله، وتخصيص أنفع الأوقات التي يحصل بها مواطأة القلب مع اللسان، فيظهر انتفاع ذلك على الأركان .

وفيها كذلك الإخبار بأن تكاليف الرسالة ليست هينة وأن المخاصمين له أهل عناد فيحتاج معهم الصبر الجميل الذي لا يتأذى صاحبُه بحبس نفسه عنه.

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٥٩)

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ٣١)

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٥٤)

(٤) رواه الإمام مسلم بهذا اللفظ صحيح مسلم (١/ ١٤٤) ورواه البخاري في صحيحه (١/ ٨)

وكررت الوصية بأنواع أخر من العبادة : كذكر الله والصلاة بالنهار ؛ وهذا كله متوافق ومعين على دعوة الناس التي جاءت في سورة المدثر وشرحت له شيئاً من عناد الكفار كذكر بعض صناديدهم بأوصافهم :﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾ [سورة المدثر:١١]. ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**[(١)] ﴾ [سورة المدثر:٣١].

فهذا التوافق والانسجام بينهما : شاحذٌ للهمة، مقوي للعزم، مثبتٌ على الحق، تظهر آثاره على قارئه إذا تواطأ القلب مع اللسان وخلى الجنان عن وسوسة الشيطان .

٧- سورة المطففين، وعبس .

قال القرطبي: (سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل. ومدنية في قول الحسن وعكرمة. وهي ست وثلاثون آية قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: إن الذين أجرموا إلى آخرها) [(٢)].

وسورة عبس مكية عند عامة المفسرين وهي إحدى وأربعون آية[(٣)].

أوجه وأثر اقتران سورة المطففين بسورة عبس.

هاتان السورتان وإن لم يكونا على ترتيبهما في المصحف العثماني إلا أن بينهما تقارباً، واتساعاً في المعنى إذا اقترنتا مع بعضهما :

فأول ذلك أنّ ابتداءهما جاء بالزجر عن الفعل، ففي المطففين نهوا عن التطفيف فعن ابن عباس، قال: " لما قدم نبي الله ﷺ المدينة، فكانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله -سبحانه وتعالى-:﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ** ﴾[سورة المطففين:١]. فحسنوا الكيل بعد ذلك "[(٤)].

وسورة عبس جاء فيها تنبيه النبي ﷺ، قال القرطبي : (روى أهل التفسير أجمع أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبي ﷺ وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عبد الله عليه كلامه، فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية)[(٥)].

فكان هذا الاقتران في ابتدائهما مما يقوي ترابطهما .

---

(١) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ... ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وانتم الدّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئا، فأخزاه الله يوم بدر .تفسير الطبري(٢٤/٢٩)

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ٢١١)

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٢٧) وابن حبان في صحيحه (١١/ ٢٨٦) وصححه الألباني صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢/ ١٨٧).

(٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٢١١)

ومن أوجه الاقتران أن سورة المطففين بعد هذا النهي : ذكر الله إحصاءَهُ لأعمال العباد، وتفصيل نعيم أهل الجنة وموقف أهل الرياسة –من أهل النار– من دعوته، وتهكمهم بأهلها.

وجاءت سورة عبس جاءت للنهي عن الحرص على أهل الشرف مع إعراضهم وترك أهل الفاقة والضعفة مع إقبالهم فقال الله –عز وجل– ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ** ﴾ [سورة عبس:١١]، فكان في هذا الاقتران تكامل في نفس المؤمن ودعوته .

جاء في سورة المطففين تنبيها عن خسيسة التطفيف التي لا تليق بأهل العزم والنهى، وجاءت سورة عبس لتحلية المؤمن بقوة الإيمان وعزته .

٨– سورة القيامة والإنسان .

سورة القيامة وهي مكية وعدد آياتها تسع وثلاثون آية [١].

أما سورة الإنسان فاختلف فيها والجمهور أنها مدنية .[٢]

أوجه وأثر اقتران سورة القيامة بسورة الإنسان.

السورتان كما هو معلوم جاءتا على ترتيب المصحف العثماني والسورتان بينهما تقارب في الموضوع والمضمون فسورة القيامة ابتدأت بالقسم[٣] لتأكيد يوم القيامة وختمت بدليل من أدلة البعث وهو حقارة خلق الإنسان وإبداعه على غير مثال سابق فكانت الإعادة أيسر من البداءة، وابتدأت سورة الإنسان بالاستفهام التقريري عن مبدأ الإنسان فكان في الكل تعظيم للخالق في ابتدائه وتعظيم له في بعثه من في القبور قال الحافظ جلال الدين السيوطي –رحمه الله–: (وجه اتصالها بسورة القيامة في غاية الوضوح؛ فإنه تعالى ذكر في آخر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة، ثم ذكر مثل ذلك في مطلع هذه السورة، مفتتحًا بخلق آدم أبي البشر.

ولما ذكر هناك خلقه من نطفة منهما، قال هنا: ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى** ﴾ [سورة القيامة:٣٩].

ولما ذكر هناك خلقه منهما، قال هنا: ﴿ **فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ [سورة الإنسان:٢].

فعَلِق به غير ما عَلِق بالأول، ثم رتب عليه هداية السبيل، وتقسيمه إلى شاكر وكفور، ثم أخذ في جزاء كل.

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٩١)

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١١٨).

(٣) على الصحيح من أقوال المفسرين .انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٥)

ووجه آخر هو: أنه لما وصف حال يوم القيامة في تلك السورة، ولم يصف فيها حال النار والجنة؛ بل ذكرهما على سبيل الإجمال، فصلهما في هذه السورة، وأطنب في وصف الجنة٢، وذلك كله شرح لقوله تعالى هناك: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** ﴾[سورة القيامة:٢٢].

وقوله هنا: ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً** ﴾[سورة الإنسان:٤].شرح لقوله هناك: ﴿ **تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾ [سورة القيامة:٢٥]، وقد ذكر هناك: ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١)** ﴾ [سورة القيامة:٢٠-٢١]، وذكر هنا في هذه السورة: ﴿ **إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً** ﴾ [سورة الإنسان:٢٧] وهذا من وجوه المناسبة)[١].

قلت وهذا الكلام حسن يشعر بعظيم المعنى من قراءة السورتين .

٩- سورة والمرسلات، وعم يتساءلون.

سورة المرسلات مكية وعدد آياتها خمسون آية [٢].

سورة (عم) مكية وتسمى سورة (النبأ) وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية.[٣]

أوجه وأثر اقتران سورة المرسلات بالنبأ.

وهاتان السورتان توافقتا مع ترتيب المصحف العثماني، وتقاربتا في عدد الآيات وفي الموضوع.

أما المرسلات فقد ابتدأت بالقسم وكان جواب القسم ﴿ **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ** ﴾ [سورة المرسلات:٧].وهو يوم البعث، غير أنها ذكرت مقدمات القيامة من طمس النجوم وشق السماء ونسف الجبال وهذا مظهر عظيم من مظاهر قدرته.

وجاء ابتداء سورة النبأ بالسؤال عن يوم البعث وتقريره بذكر مظاهر ربوبيته وتسخيره الكون مما يشعر بالهيبة والعظمة .

وسورة المرسلات تجدها ذكرت أطوار الإنسان تعظيماً لقدرة الله سبحانه، وجاءت سورة النبأ ذاكرت أطواراً في الكون ؛ فيتسع المعنى بالنظر إلى نفس الإنسان والنظر إلى هذا الكون بتأمل فيورث هذا إجلالاً وتعظيما للخالق .

---

(١) أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي (ص:١٥٠)

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٥٣)

(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ١٦٩)

وكلا السورتين تحدثتا عن النار والجنة، غير أنه في المرسلات كان التهديد لذات المكذب، وفي النبأ جاء وصفاً لذات النار وترصدها لمن يجتازها ؛ فاقتران السورتين عظيم للمؤمن الكامل الإيمان، وناقص الإيمان، وتقع به الرهبة والخوف من عذاب الله .
وجاء وصف الجنة في السورتين متنوعاً متعدداً، وهذا أكثر في التشويق والاقبال .

١٠- سورة التكوير والدخان:

قال القرطبي : (سورة الدخان مكية باتفاق، إلا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**﴾ [سورة الدخان:١٥] وهي سبع وخمسون آية)[١].
سورة التكوير مكية عند عامة المفسرين، وهي تسع وعشرون آية [٢].

أوجه وأثر اقتران سورة التكوير والدخان.

هاتان السورتان قد وقعت كل واحدة منها في حزب مختلف على ترتيب المصحف العثماني.
فسورة الدخان من المثاني، وسورة التكوير من المفصّل، لكن قد أشار بعض العلماء إلى أنهما في ترتيب مصحف عبدالله بن مسعود من المفصّل[٣] .
وإذا أمعنا النظر في السورتين نجد أن بينها تشاركاً في بعض الموضوعات :
فسورة التكوير قد جاء فيها التفصيل لمقدمات القيامة فعن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– يقول: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ [سورة التكوير:١] ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾ [سورة الانفطار:١] ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ [سورة الانشقاق:١][٤].
ثم جاء القسم على صدق القرآن وأنه من عندالله، فإذا انتقلنا إلى سورة الدخان : نجدها استفتحت الحديث عن القرآن، وتعظيم إنزاله، وتعظيم الوقت الذي نزل فيه، ولعل هذا موافق لرواية ابن خزيمة في تقديم سورة التكوير على سورة الدخان .
فانظر إلى هذا الاقتران العجيب، ثم كان في سورة الدخان تهديداً لمعاند القرآن ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ [سورة الدخان:١٠] فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : (إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ١٢٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٦)
(٣) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ٤٧٩).
(٤) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٩٠) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٧٠).

يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان) [1].

وسرد الله فيها معارضة فرعون لموسى ومن معه، فكان في هذا أحلى مؤانسة، وألطف مواساة للمؤمن في دعوته، وتصبيراً له على ما يراه من الصد والمكابرة .

وكان في ختام السورة الحديث عن الفريقين في دار الجزاء، فبعد الدعوة والصبر عليها لاينجوا إلا من هداه الله، ولا يهلك على الله إلا هالك.

فكان في اقتران السورتين مع بعضهما خيرٌ كثير، وعلم غزير، وتقوية للإيمان، ونقضٌ لعرى الشيطان، والموفق من هداه الله وكفاه .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٤).

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج :

فالحمدلله على فتحه وإلهامه وتيسيره وهنا أسجل أهم النتائج في هذا البحث :

١- حديث صلاة النبي ﷺ حديث صحيح خرجته عامة دواوين الإسلام .

٢- سرد القرائن التي صلى الله بها النبي ﷺ ثبتت عن التابعين .

٣- اختصاص القرائن على خلاف ترتيب المصحف العثماني له مقصد جليل في معانيها وتأثيره على القلب .

٤- ترتيب مصحف عثمان كان على خلاف المصحف العثماني .

فهرس المراجع:

- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر . مؤسسة الرسالة.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي . المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار العربي – بيروت.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي : الدار التونسية للنشر – تونس.
- فضائل القرآن للقاسم بن سلام تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين الناشر: دار ابن كثير.
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لابن الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ) تحقيق: غزوة بدير الناشر: دار الفكر.
- فضائل القرآن للفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ) تحقيق: يوسف عثمان فضل الله جبريل مكتبة الرشد.
- فضائل القرآن للإمام النسائي . المحقق: د. فاروق حمادة .دار إحياء العلوم .الطبعة: الثانية.
- فضائل القرآن للمُسْتَغْفِرِيُّ، المحقق: أحمد بن فارس السلوم الناشر: دار ابن حزم.
- فضائل القرآن وتلاوته للرازي تحقيق وتخريج: الدكتور عامر حسن صبري الناشر: دار البشائر الإسلامية.
- سنن سعيد بن منصور المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي .الناشر: الدار السلفية – الهند
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع.
- الأدب المفرد للبخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.
- صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح الإمام مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود .المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- سنن الترمذي المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت
- السنن الكبرى النسائي حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى.
- السنن الصغرى للنسائي .تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- صحيح ابن خزيمة المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.
- الروض الداني (المعجم الصغير) للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: محمد شكور الناشر: المكتب الإسلامي.
- المعجم الكبير للطبراني (المتوفى:٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية .
- شعب الإيمان للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه :عبد العلي عبد الحميد حامد الدار السلفية.
- سنن أبي داود المحقق: شعَيب الأرنؤوط . دار الرسالة العالمية.
- المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني .مكتبة المعارف الطبعة: الأولى.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية الحراني . جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مجمع الملك فهد
- جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية . المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار العروبة .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى.
- أصل صفة صلاة النبي ﷺ. المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)– مكتبة المعارف.الطبعة: الأولى .

- المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة المؤلف: أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف، تصنيف وانتقاء: أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل الناشر: مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي الناشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: الثانية.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول المؤلف : مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة .مكتبة الحلواني .الطبعة: الأولى.
- مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر]: العلامة المقريزي الناشر: حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان الطبعة: الأولى.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني الشافعي . دار المعرفة .
- شرح صحيح البخارى لابن بطال تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد . الطبعة: الثانية.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني الناشر: المطبعة الكبرى الطبعة: السابعة
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا القاري الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى.
- الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير ابن هُبَيْرَة المحقق: فؤاد عبد المنعم الناشر: دار الوطن.
- أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق عبدالقادر عطا. دار الفضيلة للنشر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير المكتبة العلمية .تحقيق: طاهر أحمد الزاوى–محمود الطناحي.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) دار ابن حزم، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد المحقق: محمد حامد الفقي . الناشر: دار المعرفة .